

ترفّسوا بهم... سيكبرون



الأستاذ عبد
الحميد الجلاصي

حضرت اليوم وقفة تضامنية مع النضال الفلسطيني دعت لها جمعية الصحفيين التونسيين وعدد من منظمات المجتمع المدني في إحدى ساحات البحيرة.

كان هناك عدد من مسؤولي الأحزاب السياسية والشخصيات المدنية، فلا شيء جمع التونسيين طيلة العقود السبعة الماضية أكثر من مقاومة الاستبداد الداخلي ومساندة القضية الفلسطينية، أحد وجوه الاستبداد الدولي.

في حلقات النقاش العفوية علاّق البعض على عدد الحضور، وعلاّق

البعض على المكان القصي، ولكن اتفق الجميع على ضرورة تشجيع مثل هذه التحركات لإحداث ديناميكية تكبر مع الأيسام وتعيد بناء الوعي القومي وتربط تونس الثورة بقيمها التحررية وبمحيطها الحضاري وتفتح لمشروعها الوطني آفاقا أرحب.

بين الحين والآخر يدعى أحدنا إلى تصريح إعلامي. كان هناك سي عصام الشابي وسي محمد الحامدي وسي أحمد بوعزّي وسي المولدي الفاهم وسي نزار عمامو وآخرون.

انتبهت مجموعة من الحاضرات إلى وجودي ثم مجموعة من الشباب إلى وجود كائن غريب عن قبيلتهم الأيديولوجية. نسوا ترامب الذي لم يذكره بسوء ورفعوا من الشعارات ما يتناسب مع أي شيء إلا مع إطار الوقفة، وبالغ بعضهم في الطرافة فرقع في وجهي شعار "ديجاج".

من حقهم أن يقولوا ما يشاؤون، والثورة كفلت لهم هذا الحق، لكنهم لعلهم لم ينتبهوا أنّه لا علاقة لهم بتنظيم التظاهرة، وأنّ الفضاء عام وأنّ عبد الحميد لم يتعوّد أن يستأذن من أحد ما يجب عليه فعله.

أضاعوا وقتا طويلا في الصراخ خارج الموضوع، حتى بحث منهم الأصوات، ورفعوا شعارات تجمع بين الحقد والجهل، وكرّروا كثيرا من شعارات الأيديولوجيا التي تسببت في كل هزائمنا، وكادوا أن يحرفوا التظاهرة عن أهدافها. وسوء التقدير عادة ما يخدم عكس الأهداف المعلنة.

كنت خلال ذلك كلاً مستحضرا هدفين أساسيين: لا يمكن السماح لبعض قصيري النظر التحكّم في حريات التونسيين، ولن أسمح لنفسني الدخول في مجال يحرف التظاهرة عن أهدافها، ولذلك ليس لي أن أعلّق على زاوية النظر التي تناولت منها إحدى الإذاعات الموضوع، إلاّ هذه الملاحظة. فقد ذكرت أن "مناوشات وقعت بين عدد من المحتجّين والقيادي...". لم يكن هذا دقيقا. أعرف المعارك التي أدخلها ولا أناوش في حضرة فلسطين.

كنت أتفاعل بكثير من الاستغراب والإشفاق. الظاهر أن الأحزاب السياسية مطالبة بترتيب أولوياتها وتأطير أنصارها. فالعقول المشوشة لا تخيف الصهيونية ولا تحرّر فلسطين.